النزعة الحكمية في نثر ابن حريق البلنسي (ت ٦٢٢هـ)

The Wisdom Tendency in the Prose of Ibn Hareeq Al-Balansi (d. 622 AH)

أ.م.د. سمير جعفر ياسين إيمان عبد علي

Asst. Prof. Dr. Sameer Jaafar Yaseen Iman Abdul Ali

Al-Mustansiriya University / College of Arts / Department of Arabic Language

yaseensameer62@gmail.com iman_a.ali@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص

يعد النثر واحدا من أشكال الكتابة المعتمدة عند العرب منذ القدم، ويعد بعد ذلك من الموضوعات الأدبية التي كان لها الوقع والأثر في نفوس العرب، تمثلها الخطب والرسائل التي أفضت إلى معالجات سياسية واقتصادية واجتماعية فضلا عن الجوانب الحربية والرسائل السلطانية التي كانت تعد اللسان الناطق باسم الولاة والخلفاء، ولغة التخاطب النثرية تتسم بتلك الفنية التي تطرزها عبارات بلاغية غاية في الرصانة والدقة لكي تتوافق ومستوى المخاطبين الذين يروم الخطاب التوجه إليهم بتلك العبارات المختارة من لدن الناثر، فليس المر بهذا السهولة كما يظن البعض، فالنثر سلاح ذو حدين إما يكون إيجابيا يعالج الواقع أو سلبيا يدين قائلة في استعمال لغة التخاطب المفضية في بعض الأحيان إلى التخاذل والتقهقر.

والنزعة الحكمية تعد من الوسائل التي يلجأ إليها كتاب الأندلس في التفاتة طريفة منهم في بيان ذلك الأسلوب الذي تميزوا به عن غيرهم، فجاءت على مراحل متطورة تقتفي أثر السابقين والأقدمين ومنهم ابن حريق البلنسي، فجاء البحث على محاور ثلاثة، الأول ماهية النزعة الحكمية، والمحور الثاني: سمات الحكم الأندلسية، والمحور الثالث: نظرة في البلاغة الأندلسية.

الكلمات المفتاحية: (الحكمة، البلاغة، الأندلس، ابن حريق البلنسي، النثر)

Abstract

Prose is one of the forms of writing adopted by the Arabs since ancient times, and it is considered one of the literary subjects that had an impact and influence on the souls of the Arabs, represented by speeches and letters that led to political, economic and social treatments, in addition to the military aspects and royal letters that were considered the mouthpiece of the governors and caliphs, and the language of prose communication is characterized by that artistry that is embroidered with rhetorical phrases of the utmost sobriety and precision in order to match the level of the addressees to whom the speech aims to address those phrases chosen by the prose writer, so the matter is not that easy as some think, as prose is a double-edged sword, either positive, addressing reality, or negative, condemning the use of the language of communication that sometimes leads to cowardice and regression. The wisdom tendency is one of the means that the Andalusian writers resort to in a funny gesture from them in explaining that style that distinguished them from others, so it came in advanced stages that follow in the footsteps of the predecessors and the ancients, including Ibn Hareeq al-Balansi, so the research came in three axes, The first is the nature of the wisdom tendency, the second axis: the characteristics of Andalusian wisdom, and the third axis: a look at Andalusian rhetoric.

Keywords: (wisdom, rhetoric, Andalusia, Ibn Hareeq al-Balansi, prose)

المقدمة

يعد النثر واحدا من أشكال الكتابة المعتمدة عند العرب منذ القدم، ويعد بعد ذلك من الموضوعات الأدبية التي كان لها الوقع والأثر في نفوس العرب، تمثلها الخطب والرسائل التي أفضت إلى معالجات سياسية واقتصادية واجتماعية فضلا عن الجوانب الحربية والرسائل السلطانية التي كانت تعد اللسان الناطق باسم الولاة والخلفاء، ولغة التخاطب النثرية تتسم بتلك الفنية التي تطرزها عبارات بلاغية غاية في الرصانة والدقة لكي تتوافق ومستوى المخاطبين الذين يروم الخطاب التوجه إليهم بتلك العبارات المختارة من لدن الناثر، فليس الأمر بهذه السهولة كما يظن البعض، فالنثر سلاح ذو حدين، إما يكون إيجابيا يعالج الواقع،أو سلبيا يدين قائلة في استعمال لغة التخاطب المفضية في بعض الأحيان إلى التخاذل والتقهقر.

ولقد أخترت أن تكون النزعة الحكمية محور هذا البحث فجاء تحت عنوان (النزعة الحكمية في نثر ابن حريق البلنسي ت٦٢٢هـ)، والنزعة الحكمية تعد من الوسائل التي يلجأ إليها كتاب الأندلس في التفاتة طريفة منهم في بيان ذلك الأسلوب الذي تميزوا به عن غيرهم، فجاءت على مراحل متطورة تقتفي أثر السابقين والأقدمين ومنهم ابن حريق البلنسي، فجاء البحث على محاور ثلاثة يسبقها تمهيد في نبذة عن حياة ابن حريق، المحور الأول: ماهية النزعة الحكمية، والمحور الثاني: سمات الحكم الأندلسية، والمحور الثالث: نظرة في البلاغة الأندلسية، وقد اعتمدت على المنهج التحليلي في عرض الأفكار والرؤى التي ترفد البحث بمادته الأدبية، فضلا عن المصادر الأندلسية المهمة من مثل إحكام صنعة الكلام للكلاعي، وتاريخ النثر في بلاد الأندلس لابن هناء ديوري، والنثر الأندلسي في عصر الموحدين، لعلي الشناوي. على أن الحكم في النثر الأندلسي تعد من لوازم ذلك العصر الذي كثرت فيه الأحداث السياسية المؤلمة وكانت سببا في الإعراض عن مباهج الدنيا والتمسك بعرى الآخرة والدين، فقيدت الشعراء والناثرين بقيود أقرب إلى الزهد ونبذ اللهو والابتعاد عن زخرف الحياة الدنيا.

التمهيد: لمحة عن حياة الشاعر:

حياة ابن حريق البلنسي: كانت الحضارة في الأندلس قد وصلت إلى ما لم تصله حضارة في منطقة أخرى من العالم الإسلامي، فقد دفعت باللغات الأوربية ولا سيما الإسبانية أن تأخذ من العربية الكثير من ألفاظها، ومنها كلمات البركة، الساقية، الجُب (العتيق، ١٩٣٨هـ، صفحة ٨٥).

وغيرها من الألفاظ، وقد كان في زخم هذه الحضارة وممن انجبتهم بلاد الأندلس شاعراً مفلقاً قد شهد له أبناء عصره بالفحولة في الشعر، إلا أن الأعوام والسنين قد أولت عليه ونسيته وغمرته بتراب نسيانها فأصبح من الشعراء المغمورين في طيات السنين فلولا حركة الإحياء للتراث العربي وما قامت به من إحياء وبعث هذا التراث العربي، لبقي التراث على هذا الحال وعلى ما هو عليه في طي النسيان لأعوام وأزمان قد تتكالب ولا يعلم إحيائها متى إلا من هو أعلم بذلك وهو الله سبحانه وتعالى (حياة معاش، ٢٠١٧، صفحة ٧٤).

وقد كان من بين الذين تم إحيائهم للتراث وبعثهم وإخراج ما في حوزتهم من دُرر وكنوز أدبية تراثية وفنية هو الشاعر الأندلسي (أبا الحسن علي بن محمد بن أحمد بن حريق البلنسي المخزومي) (ابن الأبار، ١٩٥٩م، صفحة ٢٣٢).

وقد نسبه المؤرخ الصفدي قائلاً: "أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد سلمة بن حريق البلنسي المخزومي" (الصفدي، ٢٠٠٠م، صفحة ٢٧٦).

ولكن لم يذكر مصدر لهذه الزيادة (سلمة) وقد نقلها عنه المؤرخ السيوطي دون أن يحققها (السيوطي، ١٩٦٥م، صفحة ١٨٦).

كما وقد نسبه ابن الشعّار وكان معاصراً له فقال: "**علي بن عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد المعروف بابن حريق الكاتب، أبو الحسن البلنسي**" ثم قام يذكر في الترجمة يقول عنه: "**أبو الحسن علي بن محمد بن حريق**" (المغربي، ٢٠٠٥، الصفحات ٤٦٦-٤٦٧).

كما إن ابن الشعّار قد شذ في ترجمته فقد كان مخالف لأعرف الناس به وهو تلميذه ابن الأبّار والسبب في مخالفة ابن الشعّار في ذلك، هو بعد موطن كل من ابن الشعّار وابن حريق فقد كان موطن ابن حريق الأندلسي في أقصى المغرب وقد كان ينتقل من بلنسية إلى مرسية وإشبيلية وجيان وبياسة وسبتة ومراكش (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٥١).

في حين ذلك إن موطن ابن الشعّار كان في الموصل في أقصى شرق بلاد العرب (العراق)، وقد كان يتنقل بين بغداد وواسط وتكريت وأربل ثم دمشق وحلب حيث مكث فيها حتى حانت وفاته سنة (٦٥٤هـ)، حيث كان مغرماً بجمع الأشعار وأخبار العلماء (المغربي، ٢٠١٦، صفحة ٨٠).

فقد كان أخيراً سماعاً لغيره من الشعراء، وقد اشتهر ابن حريق بالشاعر في ذلك الوقت لا بالكاتب رغم ممارسته فن الكتابة وبقية فنون النثر (وقد توفي أبو الحسن علي بن محمد بن حريق المخزومي البلبيسي وكانت سنة وفاته٦٢٢هـ) (ابن الأبار، ١٩٥٩م، صفحة ٢٣٢).

وقد ترجم له الأشرف الغساني، وقد كان نسبه خطأ إلى بلبيس وهي مدينة مصرية!! وقد يكون هذا تصحيف من الناسخ وذلك لإختلاط اللفظ بين البلنسي والبلبيسي وهذان اللفظان متقاربان في اللفظ والكتابة!! أما ولادته، فقد ولد الشاعر ابن حريق البلنسي في مدينة بلنسية شرق الأندلس، في شهر رمضان سنة (٥٥١هـ) (الداية، ١٩٨٧م، صفحة ٢١٤).

وقد عاش حياته فيها، حيث كان مواطناً بلنسياً بسيطاً وقد كان ابنحريق في شبابه ميالاً إلى اللهو والمرح وقد أكثر من الخروج إلى التنزه مع رفاقه وأصدقائه، عندما كان يلهو مع الشباب قال في مثل ذلك. (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٢٤).

سقى الله أيّامَ الصّبَابَةِ وَالْهَوَى وَعْصرَ الشباب أكرِمْ بِهِ عَصْرَاً

ومن صفات شاعرنا فقد كان ابن حريق فاضلاً نزيهاً مترفعاً عن كل دنية، فقال ابن الأبّار في وصفه يقول: **"كان نزيه النفس لم يتدنس بهجاء أحد ولا ثلبة"** (الجاحظ، ١٤٢٣هـ، صفحة ٢١٩).

وقال المراكشي عنه: **"لم يُثِن كلامه قط بتضمينه ثَلب أحد ولا هجوة"** (عبد ربه، ١٩٤١م، الصفحات ١٢٢-١٢٣).

وقال عنه ابن سعيد: **"أخبرني والدي: أنه اجتمع به في سبتة فرأى خير من يجتمع به ادباً وشعراً وظرفاً وحسن زي مع وقار وتؤدة"** (المغربي، ٢٠٠٥، الصفحات ١٦-٢٠).

وقد كان ابن حريق مداحاً يمدح كثيراً! ولكنه لم يفكر قط في أن يكون طموحاً لجمع المال وتكوين ثروة من المال كما هو الحال عند أثرياء أهل الأندلس الأثرياء، ولكنه كان قنوعاً متعففاً، فقد عاش شاعرنا فقيراً، حيث كان يشكو حاله إلى رفيقه أبي بحر التجيبي حيث يقول: (ابن الأبار، ١٩٥٩م، صفحة ٢٣٣).

أعَنّي اسْتَمِلَ صرْف اللَيَالِي فقد يُرْجَى الرضى للمُسْتَميــلِ

وَأَثْنِي مَعِي على سفرٍ حَمِيدٍ قَضى لِي مِنْ لِقائِك كُلَ سُولِي

كانت حياة ابن حريق التي عاشها حياة بسيطة جداً رغم مكانته الاجتماعية والسياسية التي حظي بها لدى السلطان، فقد شغل ابن حريق منصب تولى لبني عبد المؤمن في الأندلس تصريف أعمال الديوان مع كتابة الإنشاء، كما أنه كان مشرفاً على تصريف أعمال شؤون مدينة بياسة في الأندلس (الداية، ١٩٨٧م، صفحة ٢١٤).

فقد كان مسؤولاً عن استخلاص جباياتها ما يدخل منها وما يخرج منها في السوق والبيع والشراء فيها، وفي سنوات عمره الأخيرة وعندما أصبح في عمر الشيب والكهولة آوى ابن حريق إلى بيته وأصبح جليس الفراش، يأتي إليه تلاميذه وشيوخه لطلب العلم، فأصبح زاهداً في سنوات عمره الأخيرة، وينادم أصدقائه فأقبل للتأليف وبقي في نشاطه العلمي إلى إن وافاه الأجل وتوفي (ليلة الإثنين ١٨ شعبان ٦٢٢هـ)، حيث دفن في باب بيطالة ببلنسية (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٢٤).

المحور الأول: ماهية النزعة الحكمية:

هي أقوال مأثورة تتضمن حكماً جرت على ألسن الناس ومنها يستمد الشاعر موضوعاته من الظروف وأحداث مجتمعاتها في شتى ميادين الحياة، فالحكمة هي فن من الفنون النثرية، والتي امتاز بها الشعراء والأدباء منذ أمد بعيد وعلى مر العصور فلم تقتصر على عصر ولا يعد غرض الحكمة شعراً خالصاً لأنه يخلو من عنصري العاطفة والخيال، فنجد أن النفوس ترتاح لهذا الغرض وهو غرض الحكمة فنجد إقبال الناس عليه مع العلم إنه يخلو من العاطفة والخيال، والسر في ذلك هو أن هذا الغرض يضيف إلى تجاربنا الخاصة في الحياة تجارب من سبقونا فنفيد منها فضلاً عن هذا فإنه يظهرنا على ما يقرأه أو ينكره الحكماء من أخلاق وسياسة مجتمعاتهم (الكلاعي، ١٩٩٦م، الصفحات ٤٤٦-٤٤٧).

فغرض الحكمة لم يقتصر على عصر من العصور كما ذكر سابقاً، فثمة سؤال "هل هذا الغرض كان متواجداً في الأدب الأندلسي فقط؟ الجواب كلا لم يتواجد غرض الحكمة في الأدب الأندلسي فقط، فالأدب العربي في كل عصر من عصوره وكل بيئة من بيئاته لم يخلو من حكماء عبروا عن أدائهم وتجاربهم الخاصة في أقوال من الشعر والنثر. لقد اقتفى الأندلسيون أثر المشارقة في هذا الغرض الشعري فقد فاقوهم في هذا الفن من عدة نواحٍ ومنها:

أولاً: لم يكن للفلسفة تأثير على شعرهم إلا من جهة معانيه الشعرية.

ثانياً: تمتاز أشعارهم في الحكمة بسمو الخيال وقوة التصوير وبراعة الابتكار، بحيث تدل على عقل صاحبها دلالة المطابقة.

ثالثاً: زادوا في محاسن الشعر (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٣٩٨).

وقد كان ابن حريق البلنسي هو أحد الشعراء الأدباء الذين تتسم رسائله بالحكم والزهد والوعظ في مقطوعاته النثرية، فابن حريق لم يتبع سبيل معاصريه في معارضة خطبة الفصيح، وملتقى السبيل وغيرهما من آثار أبي العلاء، فقد تأثر ابن حريق بنثر أبي العلاء وكان تأثره ملموساً في الرسائل الفريدة سواء على مستوى الشكل والمضمون فكان من حيث الشكل فإنه كالمعري يرصع نثره بالأخبار والأمثال وحل الأشعار واستعمال الغريب ومن أمثلة تأثر ابن حريق بأبي العلاء في نثره شكلاً ومضموناً يقول أبو العلاء في خطبة الفصيح: "**الشعر إذا جعل مكسباً، لم يترك للشاعر حسباً، وإن كان لغير مكسب، حسن في الصفات والنسب، ما لم تسب بالمحظة وتعد للعار الحفظة**" (الكلاعي، ١٩٩٦م، صفحة ١٤٠).

وقد لوحظ أن لهجة الزهد والوعظ ترتسم في رسائل ابن حريق ولا سيما في القسم الأخير من رسالته فمن ذلك يقول: "**سربلِ النَّفْسَ نُهاها، وَأَبْلِغها مِن الْكَرَامَةِ مُنْتَهَاهَا، وَلَا تَتَّبِعُها أَدْبَارَ الشهواتِ الْمُشْتَبِهات، فَتَرْمِي بِها فِي لَهَواتِ الترهات، إِنَّ إِسْخَنِ الْخَلْقِ عينا، وأَجْلَبَهُمْ لِنَفْسِهِ مَقْتَاً وَشَيْناً، الْعائِجُ بِهَذِهِ الدَّارِ صُدُورَ جِمَالِهِ، وَالْقَائِلُ لها مُسْتَدِيلاً عَنْ ضنتها بآماله**" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٢٣٥).

فنرى في رسائل ابن حريق جانب الاقتباس قد تجلل في رسائله المتنوعة والاقتباس على نوعين: نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه أما أن يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك وهذا ما أجازه البلاغيون (الهاشمي، ٢٠١٧م، صفحة ٢٣٠).

يقول ابن حريق في رسائله وعلى نحو واضح وكثير ما يختتم به رسائله فيذكر بالاقتباس من القرآن الكريم أحياناً ويضمن من الشعر غالباً ومن قوله في الاقتباس بالآيات القرآنية قوله في مثل ذلك: "**لا وازِعَ كالإيمان، وَلاَ واعِظَ أَبْلَغُ مِن الْقُرآن**" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٢٤٨).

قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {**نَحْن قَسَمْنَا بَينَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّا وَرَحْمَةَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ وَلَوْلا أَنْ يكون الناس أمّةً واحِدَة لَجَعلنا لِمَنْ يَكْفُرُ بالرَّحْمَنِ لِبُيوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعارِجَ عَلَيْها يَظْهَرُون وَلِبُيُوتِهِمْ أبواباً وسُرُراً عليها يتكئون وزُخْرُفا، وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيا وَالآخِرَةُ عِنْدِ رَبِّكَ لِلْمُتَّقين**}" (الزخرف، آية ٣٢ – ٣٥)

ويقول ابن حريق في احد مقطوعاته النثرية في الحكم:

"**لا أَفْتَا أَذْكُرُ وَسَيِّدِي عَذْبَة ذِكْراهِ، وَالْحَدِيثُ شجون أولاه وأخراه، ائتلافنا لعدوة تَسرَ وَرَوْحَة، واقْتِطَافَنَا ثَمَر البَراعَة مِن أَيْنَعِ دَوْحَة، فِي مَغَارِسَ طَيِّبَة الْجَنَا، ومجالِسَ لاَ تَنْطِقُ بِالْخَنا، يَعْقِدُونَ حُباً مُورَّبة، وَيَأْزِمُونَ نَواجِدَ مُذَرِّبَة، يَقْضُونَ حَقَّ اللهِ ثُمَّ النائِل، وَيَخوضونَ بَعْدُ من الأدب في مسائل،ويُوضحونَ مِنْ كِتاب أبي بشر ما اسْتَعْجم، ويركبون ما الخليل وغيره الجم فَإِنْ تَخَلَّفَ أَحَدٌ غاشي تلك النوادي وَعَدَتْهُ عَنِ الْبُكْرَة إليها إحدين. الغوادي، أثني عليه بغيبه، وذكر بذكائِهِ وَطَهَارَة جَيْبِهِ، فَإِذَا أَقْبَلَ وَسُئِل مِنْ أَن تَرَى عَنْ أَنْ يَصُمْتُ أَوْ أَنْ يَنطَقَ الْمَيْنَ، وَلَمْ يُرِدُ أَن خيرهم من أين أتى مَخافة أن يقال فَخَرَ الفَتى، فَيَقُولُ مِنَ الْمَنْزِلَ أَرِيدُكُمْ، لا قلل عديدكُمْ، وَلَا أَفَلَتَ طَرِيدُكُمْ، وَلا حُمَّ مِنْ شرب الحياة تصريدكمْ، وتشبث بأذيال ولو استجار أن يطول، لَوَجَبَ لَهُ أَنْ يَقُولُ، أَقْبَلْتُ مِنْ بَدلِ ماتِ**" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٩٠).

أراد الشاعر في هذا المقطوعات النثرية أن يرسم صورة جزئية محملة بالمعاني والألفاظ الجميلة التي مدح بها سيده أمير المؤمنين أبا يحيى، يصور فيها مكانته ورفعته وحكمته وجوده وكرمه، فيصفه بالجود والكرم، وبلمعان البرق، والشجرة العظيمة الشامخة التي غرست في أرض قوية وصلدة وبهذا أراد الشاعر هنا أن يرسم صورة فنية معبرة للفت انتباه القارئ والمتلقي في سعة من الخيال.

ويقول أيضاً:

"غفلت فجفونك نيام، وقعدت وأقضية ربك قيام، وقد أغرى بك ليالٍ وأيام، أجمَدْن وأمَعْن وفرقن ،وجمعن واشكلن وشكلن، وأكلن مما بكلن، وتنكرن تنكّر سعال، وأحطّنَ بنا من اسفل ومن معال، لهن الايعاد الناجز، والسطوات لايقعدها المحاجز" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٩٧).

قيمة نثره تتمحور في صناعة ألفاظه التي تطرز الصورة في تقبلها من المتلقي عبر انتظام البعد الخطابي والتعبير عن التحام النسيج بين الواقع المتخيل حتى تتوافق العلل مع الأسباب ،وتلتقي الحجج والأدلة مع الاقناع، وفي رؤية ابن حريق للأحداث يترجمها على وفق تخيله المرتبط بقوة قلمه وانتاج الرؤية للآخرين عبر تآلف الألفاظ والمعاني،وذلك فهو يحيلنا لهذه الصورة البصرية عبر ألفاظ بعينها من قوله (جفونك نيام)، (وأحطن بنا من أسفل ومن معال).

وقوله أيضاً:

" لَمْ يَزَنِي أَكْرَمَهُ الله فِي مُرَافَقَتِهِ فَاقِدَ احتيال، ولا هاتباً نَصَ خَمْسٍ لَيالٍ، لَوْلا نتائج آمال، وَفَوارِق حاجاتٍ أهمال، ناشدني بِالذَّمَمِ الْمَرْعِيَّة، أَنْ أَكُونَ لَها كَالتَّرْعِيَّة، وَأَحْسِبُهُ سَبَبَ اعتياقي، وَقَيَّدَ عَن الرَّحْلَةِ نِياتِي، وَأَضْرَبَ عَنْ وَلوعي إليه واشتياقي، لأمْرٍ خَشِي مِنْهُ إشفاقي، فَسَهِرَ في إرفاقي، ونظر في رأي يقع مِنْ حَيْثُ لا أَشْعُرُ بِوِفاقي، فَجَعَلَ تكليفي ، سَبَبَ تَخْلِيفي، لِقَشْعَمٍ وَكْرٍ كَرز، وطالما سويق فبرز، قُصَتْ بِفِراقِ ناهضه الأَكْبَر قَادِمَةُ جَناحِهِ، فَعَجَزَ بالجناح الآخرِ عَنْ بَرَاحِهِ، وَاعْتِمَالِهِ فِي غُدُوه وَرَوَاحِهِ، فَجَثَمَ يَلْقُط، ويستدفع به من الذباب ما يسقط، نُقِضَتْ مِنْهُ مَرِيرَه، وَعَلَتْهُ مِنَ الْكِبَر قشعريره ينهض مُتَعَنيا، ويَسْتَعْجِلُ مَتَأَنِّيَا، وَيُوَدَعِ الْمَصِيفَ مُتَغِنَيا" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٧٥).

فقد يروق لهذا الناثر العتيد أن يقدم لصوره البصرية مقدمة يدخل بها الى الموضوع من دون اقتحامها مباشرة وكأنه يمهد للمتلقي ما يرمي إليه من فصل الخطاب فلايألو جهداً في وصف ما يريد عبر سلسلة متدرجة في تقديم طبقه المفضل وتزويقه بالمتخيل ضمن الاقناع في التخاطب عبر صورة بصرية إلى التقاط ألفاظ بعينها في قوله (فجثم يلقط) وفي قوله (ويستدفع به من الذباب ما يسقط).

والتي ختم بها فكرته وغايته من هذه القطعة النثرية.

ومن قوله أيضاً:

"لاَ تَطْمَئِنَّ إِلَى الْمَلَقِ، فَإِنَّ الظُّلْمَ فِي الْخِلَقِ، وَإِساءَةُ مَنْ أَخْلَصَ بِالْمِقَة، وَرُشْحَ لِلْوَفَاءِ والثِّقَة، أَشَفُ ضَنى للأجسام، وَأَشَدُّ مَضاضَةً مِنْ وَقْع الحسام، نَمْ لِي عَنْ أَعْدائِكَ، وَارْهَبْ صاغية أودائك، جَاهَرْتُكَ بِمَا استكشفت، وَجَليتُ لَكَ ما اسْتَشْفَفْت، وَإِنْ سَدَتْ وَصَاتِي بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ حقدا، وَاذْكُوا لِي عَلَيْهَا شَرَرَ الْعِتَابِ وَقْدا" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٢٣٠).

هنا يبدأ به مقطوعته النثرية وكأنه يرمي إلى أسلوب الزجر الممزوج بالحكمة والتوجيه،وهنا تكمن مسؤولية الناثر كناقد اجتماعي مصلح للآخرين ،في توجيههم ،وتقديم النصائح.

وكذلك في قوله:

"لا تُتْبِعْ مَعْروفَك مَنًا، وَلَا تَنصِبْ لِسَائِلِكَ مِجَنًا، وَأَجْمِلْ بِعَواقِبِ الأَيَّامِ ظَنًا، وَلا يَحْزُنْكَ تبطح بني الأصفر في الْبِلادِ، وَمَا ثُمِّرَ لَهُمْ مِنَ الأَمْوَالِ والأولاد، فإذا شاءَ اللهُ لَهُمْ بِالْعِقاب، وَتَقْطِيعِ الْجَناجِنِ وَالرِّقَابِ، شَعْرَبَهُمْ عن الألقاب، وَصَرَفَ إِلَيْهِمْ وَجْهَ الداهية النقاب، فَرَدَ مَسَالِحَهُمْ عَلَى الأعقاب، وجَرعَهم السَّمامِ الْمُثَمِّلَةَ لَهُمْ فِي قِعَابِ الأحقاب" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٢٤٢).

هنا نلحظ أن ابن حريق مغرم ب(لا) الناهية التي تتربع على أكثر نثره في زجر المتلقي عند أمر ذي أهمية يقتضي منه معالجات سريعة تتيح للآخر تفهمها رغماً عنه،في التفاتة منه على تقبلها قبولاً حسناً ،لا مفر منه أو يزيغ عنه.

ويقول أيضاً:

"فَإذا شالَت النّعامَة، وَنِيطَتْ بالابن الزعامة، قيلَ حِصْنٌ ثُمَّ أُبَتِ النفوس، وَأَكْبَرَ أَنْ لَمْ تَخِرَّ الْجِبالُ وَلا كَسَفَت الشموس، حَتَّى انْتَشَرَ نَعِي رُكْنِ شمام، وَسَكَنِ الأيام، وَثِمَال الأرامل والأيتام، كُفن بالفعال، وأديل بعده الحَزْنُ مِنَ الْفَرَح ، وَرُثِي وَكانَ أَمْسِ لِلْمِدح، وَعَلَتْ بِتَأْبينِهِ لُجات النوادي، وَقِيلَ لَهُ اذْهَبْ كما ذَهَبَتِ الْمُزْنُ الْغَوادِي" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٧٣).

استدعى ابن حريق أداة الشرط (إذا) لبيان معنى مهم يتعلق بزعامة الابن بحسب قوله (ونيطت بالابن الزعامة)،فحقق بذلك الاستدعاء أهمية للقول في تنظيم وترتيب الألفاظ والمعاني التي تقوي المعنى في تدفقات متتالية تضيق حيناً وتتسع حينا آخر بحسب المقام ومنزلة المخاطب.

وقوله أيضاً:

"فَلَوْلاً إِمْرَةً أَطِيعُها، وَحُرْمَةٌ لَهُ لاَ أُضَيْعُها، لفارقتُ جهاتي، واسْتَوبَلْتُ جَلَهاتي، وَأَعْمَلْتُ إِلَيْهِ كَهاتي، على أن افترش بجاد الصقيع، واشتمل لفاع الرقيع، في طرق بِما نَدَفَ الصَّنَّبَر عَلَيْها مُرْتَدِيَة، وَلَيالٍ مِنْ جُمادَى ذَواتِ أندية، فإن تِلْتُ مِنْهُ نظرةً أنقع بها قَلْبا، وَتَكونُ مَعِي عَلَى اللَّواعج إلبا، فَتِلْكَ شُقُوري، وَلَها كَانَ إِذْلاجي وبكوري" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٧٦).

ففي هذه القطعة النثرية تظهر براعة الناثر ابن حريق في استدعاء المخزون الثقافي المعجمي،وكأننا نقف أمام ناثر عاش في عصر غير عصره،وفي ذلك دلالة واضحة على نباهته وفطنته وحسن لسانه وعظيم بيانه حتى انتقل من نسيج النص التقليدي إلى نسيج النص النثري الأندلسي المهيمن بتميزه وطول نفسه في ارتواء المتلقي من معين الفكرة والغاية من إثبات الحجة والبرهان،وجاءت أداة الشرط (لولا) في إثبات المعنى لاقناع المتلقي بما يريده.

المحور الثاني: سمات الحكم الأندلسية في نثره:

أولاً: تمتاز بالإيجاز والاختصار في أغلبها والدقة وسلامة الفكرة وجمال الصياغة.

ثانياً: إن أكثر الحكم والأمثال الأندلسية تتفق في مضمونها مع حكمة العقل عند الأندلسيين ونظرتهم المتفحصة فيما يدور حولهم من أحداث ومشاهدات.

ثالثاً: عبرت عن كثير من مظاهر الحياة الملائمة للبيئة الأندلسية الجديدة.

رابعاً: صورت طرفاً من أثر أهل الأندلس وعاداتهم وتقاليدهم.

خامساً: كثرت نماذجها في كتابات أدباء القرن الخامس الهجري للتعبير عن تجارب الحياة، واستخلاص العبرة من الأحداث التي عاشها الإنسان ويضاف ما اجتمع لأهل الأندلس من سلامة الفطرة ونفاذ البصيرة ودقة الملاحظة مع مطاوعة القول لهم، ولهذا برعوا فيها وأجادوا إرسالها (الحموي، (د.ت)، صفحة ٤٥).

سادساً: لم تختص الأمثال والحكم بطبقة دون أخرى، بل كانت تدور على ألسنة الخاصة والعامة على حد سواء ولذلك يمكننا القول بأن الحكمة والمثل هي صوت الشعب ومدلول القول غني عن الإيضاح والبيان.

سابعاً: من الملاحظ أن ما روي من حكمهم وأمثالهم لم يلتزم نهجاً واحداً بل تنوع بين قوة العبارة، وصواب المعنى، وبراعة التمثيل، ودقة التشبيه، ومن الحكم والأمثال ما ورد في ثنايا القول ضمن رسالة أو خطبة أو جواباً لسؤال مرتجل تقدمه القرائح دون رؤية وترسله الطبائع كافة.

ثامناً: جاءت أمثالهم من حيث الأسلوب على ضربين منها ما يلتزم السجع في أسلوب صياغته، ويكون جيداً ومنها ما يزهد فيه لأنه جاء عفو الخاطر دون كلفة أو قصد (الحموي، (د.ت)، صفحة ٤٥).

ومن أمثال ابن حريق التي ذكرها البياسي في شرحه لرسالة ابن حريق قوله وعذيق تصغير عذق وهو النخلة نفسها، والجذيل تصغير جذل وهو أصل الشجرة وهذا من شرح الأنصاري، فيقول في المثل: "**أنا جذيلها المحكك وعُذيقها المرجّب**" (السليماني، ٢٠٢٠م، الصفحات ١٧٦-١٧٧).

ويقول أيضاً: "**وصدقني سنة بكرة**" وهو مثل أو حكمة تضرب لرجل صاحبه عند إخباره قال الأصمعي وأصله إن رجلاً سام رجلاً ببكر، أراد شرائه فسأل البائع عن سنه فأخبره بالحق، فقال المشتري "**صدقني سنة بكرة**" فذهبت كلمته مثلاً.

يقول ابن حريق في أحد مقطوعاته النثرية في الحكم: "**هَيْهاتَ لَوْمَ حُلال الشعاب، وكثرت الأنكاس في الجعاب، تَلَهُنَّ بِالْعُجالة، وَلا تَرْتَحِلَن للراعِدَة الدِّجَالَة لَنْ تَفِي لَكَ بِوَعْد، وَلَنْ تَبَل يَداكَ بِجَعْد، في كل واد بنو سعد، وما أشبه هندا بِدَعْد، أَمَرَ الزَّمَنُ فَطَعْمُهُ هَبِيد، واستشن جلد الأجرب الذي ذكر لبيد، الكُل حِلْسُ قُتودٍ وَنُسوع، مُحاوِلُ أَمَلٍ مِن الثروة شموع، لا يَحْتَقِرُ الزّنْجِيرَة، وَلا يَفْتُرُ السَّبْرَة وَلَا الْهَجِيرَة**" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٨٧).

ويقول أيضاً:

"داو كَبِدَكَ مِنَ الْمَرَضِ، وَلاَ تَغْتر بهذا الْعَرَضِ، وَقُم بالواجِبِ الْمُفْتَرَضَ، وَقَدِّمْ لِلْجَرَضِ وَمَا بَعْدَ الْجَرَضِ، فَالْعُمْرُ جُرْفٌ سَتَقِفُ عَلَى شَفَاهِ، وَالْمَنِية كَأْسٌ تَرْحَمُني وَإِياكَ عَلَيْها الشفاه، يَسْتَوِي مِنْها شَرْبُ الشَّجَاعِ وَالْهِدَان، وَسُكَانَ الصّحاري والأفدان، يُصاب الورع بالهزامه، والشهم الْمُجَرّب بإقدامه، فَالْجَبانُ يَفْرَقُ مِنَ الصَّل، ويَحِيدُ حَتَّى عَنِ الظَّلِ، تَشُوكُهُ الْبُهْمَى بإبهامه، فَيَكونُ ذَلِك سَبَبَ حِمَامِه، والدِّمْرُ يَرُوعُ بِالالْتِماحِ، وَيَخْتالَ بَيْنَ الصوارم والرماح، وتقف دونه الأبطال وقوف الإبل القماح" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ٢٣٧).

هنا في هذه المقطوعة النثرية صور واقعية تحدث فيها ابن حريق عن عمق تجربته الإنسانية التي تفيض منها خبرته في الحياة وتجرعه كأس ومرارة ما حلّ به في زمن غابر وكأنه حكيم يهدي الناس ويوجههم ويهديهم إلى جادة الصواب.

ويقول أيضاً:

"أنوف تُعْلَب، وَمَحاسِنُ تُقلب، وَقَدْع يُغلب، لِلأَفْوَاهِ الْمُفْحِشَةِ الأَثْلَبِ، إِنَّ مقاعس لَجَمَاهِيرُ مُنْعَقِدة، وجَمَرَاتٌ مُتقدة، اليسوا رُكَابَ الأنتاج، وأصْحَابَ ثَيْتَل وَالنِّباج، وَمِنْ أَنْجَادِها مُرِيق الأسوالِ يَوْمَ مُسْحَلَة، المُشْتَهِرُ في الحلم بسجايا غَيْرِ مُنْتَحَلَة، ومنها مُحْتَذِي طَرَائِقِه، ومُتَقَبّلَ خَلائِقِهِ، العاقد الْحُبْوَة لَا تُحَلّ، والْمَصْرُوفُ لِمَحْضَرِهِ العَقْدُ وَالْحَلْ، وَمِنْهَا الْمُسَابِقِ أُمَّاتِ الرئال، وَالْمُلقب بالرتبال، الْمُوفِي جَحِيشاً عَلَى الأصوات، والْمُغَيرُ وَحْدَهُ في الْغَدَوَاتِ، مُكْتَسِحُ الأدوادِ بالرعاء العائِدُ مِن الْخَيْبَة لا الهيبة في الدعاء، وَمَع ذلك فالفرزدق وَجَرِيرٌ مُعرقان في الحيطات، راجعان إلى أمشاج تميم المرتبطات، يا بَرْحَ ما جمع طرفه، ويا شَدَّ مَا طَمَحَ طَرْفَهُ، إِلَى الْغُرَانِ الأعلام، وَمَعادِن شَرَفِ الْجاهِلِية والإسلام، الفحول المشهود لها بالإنجاب، الآتية من المُصْطَفَى عَلَيْهِ السلام بالعجب العجاب" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٩٣).

ويقول أيضاً:

"خَيْرٌ مِنْ أَنْ أصوغ قصائد، ثُمّ أتخِذَها مَصَائِد، فَاعْتَلِفَ خَبَطَ السَّلَم، وَأَعْصَبِ الزَّمَرَات عَلَى الْحَلَم، وَأقول لِلْمُحَفَلِ الأطباء، الْمُرَشحِ لِلْحَيَاء، مادحاً لَهُ بالمرة، والْمَذْهَبُ احْتِلابُ الدَّرَة" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٩٩).

التنسيق هنا في الخطاب النثري بدا واضحاً وجلياً في هذه المقطوعات النثرية التي تفيض بألفاظ ومعان تخلع على ابن حريق عمق ثقافته التي تسلح بها في تناسق الزخرف البلاغي من جناس وطباق ومقابلة ،وتلك النهايات المتوافقة في النغم الصوتي والموسيقي على حد سواء. فأظهر براعته النثريه المائزة.

المحور الثالث: نظرة في البلاغة الأندلسية:

هناك الكثير من التعريفات البلاغية التي ينقلها ابن عبد ربه والتي انتقاها من مختلف المضان التراثية التي اهتمت بالبلاغة وهي تعريفات تتقاطع مع تعريفات أخرى أتى بها الجاحظ (ت٢٥٥هـ) في البيان والتبيين (الجاحظ، ١٤٢٣هـ، صفحة ٢١٩).

مما يُرَجِح أن ابن عبد ربه اطّلع على كتاب الجاحظ وأخذ منهُ ما أخذ فيذكر منها ما يلي قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال معرفة الوصل من الفصل. وقيل لآخر: ما البلاغة؟ قال: إيجاز الكلام، وحذف الفضول، وتقريب البعيد.

وقيل لبعضهم: ما البلاغة؟ قال: ألا يؤتى السامع من سوء بيان القائل من سوء فهم السامع، ولا يؤتى السامع من سوء بيان القائل. قالوا: البلاغة: ما كان من الكلام حسناً عند استماعه موجزاً عند بديهته. قيل لإعرابي: من أبلغ الناس؟ قال: أسهلهم لفظاً وأحسنهم بديهة، وقال آخر: ما البلاغة؟ قال: نشر الكلام بمعانيه إذا قصر وحسن التأليف إذا طال (عبد ربه، ١٩٤١م، الصفحات ١٢٢-١٢٣).

قال سهل بن هارون: سياسة البلاغة أشد من البلاغة. وقيل لجعفر بن يحيى بن خالد: ما البلاغة؟ قال: التقرب من المعنى البعيد والإفالة بالقليل على الكثير.

وقيل لابن المقفع: ما البلاغة؟ قال: "قّلة الحَصر والجرأة على البشر قيل له: فما يعني؟ قال: الإطراق من غير فكرة، والتنحيح من غير علة".

وقيل لأرسطاطليس: ما البلاغة؟ فقال: "حُسن الاستعارة" (عبد ربه، ١٩٤١م، الصفحات ٢٧٢-٢٧٣).

وتعد البلاغة بحسب قول ابن عبد ربه اختيار لأجود الكلام، وانتقاء لأنفَسه، واختيار الكلام هو قطعة من عقل الإنسان، وهذا الاختيار لا يتأتى لعامة الناس؛ بل تحصل بلاغة الاختيار بطول الاحتكاك بكلام العرب، وتدارسه زمناً طويلاً (عبد ربه، ١٩٤١م، صفحة ١٣).

يقول حازم القرطاجني (ت٦٨٤هـ): "وكيف يظن الإنسان أن صناعة البلاغة يتأتى تحصيلها في الزمن القريب، وهي البحر الذي لم يصل أحد إلى نهايته مع استنفاذ الأعمار" (القرطاجني، ١٩٠٠م، صفحة ٢٨٨).

وقد يُقال: إن ما تم الحديث عنه هو (الأسلوبية) التي تنحو نحو الاختيار بين مُدَخر من الإمكانيات والأصح إن البلاغة والأسلوبية تقيمان منذ زمن علاقات وطيدة وتتقلص الأسلوبية أحيانا حتى لا تعدو أن تكون جزءاً من نموذج التواصل البلاغي، وتنفصل أحياناً عن هذا النموذج، وتتسع لتكاد تمثل هذا القول على العلاقة بين البلاغة والأسلوبية من جهة، والشعرية من جهة أخرى (محمد العمري، ٢٠٠٧م، صفحة ١٣).

ومن أوجه البلاغة كما يُعرف هي بلاغة الدلالة، وبلاغة اللسانيين (القلم واللسان)، وبلاغة الخط، وبلاغة الإشارة، وبلاغة الإيجاز (محمد مشبال، ٢٠٠٧م، صفحة ٦).

وقد كان للعرب في الأندلس أدب رائع، وشعر بليغ، ونثر بديع، وسعة في الخيال، وقدرة على الابتكار، وقد كانت دولة الأدب هناك في عز مجدها، وأزهر عصورها، وساحات غاصة بالشعراء والكُتّاب، في كل فن من فنون البيان، أو مذهب من مذاهب البلاغة، جاء عن ابن بسام الشنتريني في الذخيرة قوله: "**ومن عجائب علمهم، وغرائب نظمهم ونثرهم، مما هو أحلى من مناجاة الأحبة، بين التمنع والرقبة وأشهى من معطاة العقار، على نغمات المزاهر والأوتار، لان رؤساء الجزيرة كانوا رؤساء خطابة، ورؤوس شعر وكتابة تدفقوا فآنسوا البحور، وأشرقوا فبادروا الشموس والبدور، وذهب كلامهم بين رقة الهواء وجزالة الصخرة الصماء**" (ابن بسام، ١٩٧٩م، الصفحات ٦-٧).

وهذا يأخذنا إلى أبعد من ذلك عندما قرر ابن بسام شرف النسب وعُلّوه للأندلسيين إذ يقول في ذلك "**فالأندلس عراق المغرب عزة أنساب ورقة آداب، وإشتغالاً بفنون العلم وإفتناناً في المنثور والمنظوم، لم تضف لهم في ذلك ساحة، ولا قصرت عنه راحة... وهم أشعر الناس فيما كثره الله، في بلادهم وجعله نصب أعينهم، من الأشجار والأنهار، والأطيار، لا ينازعهم أحد في هذا الشأن فيقول أحد الكُتّاب: "وإما اذا هب نسيم، ودا كأس في كف طي رخيم، وصفق للماء خرير، أراقت المشية، وحلقت السُحب ابرادها الفضية والذهبية، أو تَبسم عن شعاع ثغر نهر، أو ترقرق بطل جفن زهر، أو خفق بارق، أو وصل طيف طارق، أو رعد حبيب فزار من الظلماء تحت جناح، أو بات مع من يهوى كالماء والراح**" (ابن بسام، ١٩٧٩م، صفحة ٨).

فابن حريق، من أولئك الشعراء الذين صدحت أقلامهم بعظيم ذلك النتاج الأدبي الشعري والنثري الذي نحن بصدده، فتنوعت الفنون البلاغية التي طرقها في نثره بديعية كانت أم بيانية، وبرع في هذه الفنون في إيصال رسائله للمتلقين، ولأنه كذلك فقد ذاع صيته وانتشر مداد قلمه في الآفاق وبرز ناثراً كما هو شاعر مفلق لا يشق له غبار.

فأنتج في عصره العديد من الآثار النثرية من مخاطبات ورسائل كانت بحق ملاذاً للدارسين والباحثين عبر عصور تلت عصر الأندلس، وهذا ما يفسر قيمة نثره في الإشادة ببلاغة القول وفضل الخطاب في مزاوجة نثره بالشعر، ففي هذين البيتين يزاوج ابن حريق الشعر بالنثر فيقول متمثلاً بذلك: (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٦٧).

لا يُبْعَدَن قَوْمِي الَّذِينَ هُم سُّم الْعُداةِ وَآفَةُ الْجُزْرِ

النّازِلِيـنَ بِكُــلِّ مُعْتَــرَكٍ والطّيّبونَ مَعاقِدَ الأُزْر

ومن قوله أيضاً:

"إيهٍ أَيُّها الصّباحُ المُتبرج، والنَّسِيمُ الْمُتَارُج، إِنَّ عِنْدَكَما مِن الْخَبْرِ، لَمَا يُزْرِي بالحبر، وَيُنْشِطُ الْيَفَنَ مِنْ عُقْلِ الْكِبَر، لَمْ تَعِيَاهُ، فَتُوعِيَاهِ، وَلَمْ تَحفَظَاهُ رَصْفاً، فتلفظاه وصفاً، لَكِنْ أَوْ مَأْتُما، فَأَنْبَأْتُما، وَالْمَحْتَها، فَأَوْضَحْتُما، وبلَغْتُمَا مَع الاختصار في البيان، ما لا تكاد تَبْلُغُهُ بالإبصارِ الْعَيْنَانَ، يَبْلُغُ الْمَاحُ مِنَ الْمَعِي، ما لا يبلغ إفصاح مِنْ ذِي عِي، وَآدَبُ مُخْبَرَيْكَ مَنْ أَوْمَضَ لَكَ فِي قَصه، وَلَمْ يُتْعِبُ مِسْمَعيك بنصه، وَجَاءَكَ بِأَمْرِ مِنْ فَضْهِ، وَرُبِّ إيماض، جَلَّى عَنْ إغماض، وَشَفَى مِن ارتماض، إِنَّ عَدَ البَرْقِ عِنْدَ الْعَرَب رائد ربيعه، وعذوبة المنهل شاهدة بطيب ينابيعهِ، فَمَرْحَبا بك أَيُّهَا الْبَحْرِي، وَنُعْمَى عَيْنٍ لَكَ يا شحري، الشكر لكما من رسولين، أتيانِي بِسُؤلَيْنِ، قَضاءِ الْحَوْبَة، وَوَحاء الأَوْبَة" (ابن شريفة، ١٩٩٦م، صفحة ١٦٧).

هنا في هذه المقطوعة النثرية نجد براعة الأديب في كيفية تناسق عرض المعاني التي تترجم نهايات اختيار الألفاظ، والتي تجعل المتلقي يستطيع استرجاع أفق المرجعيات الثقافية في تحديد المغزى من عرض الصور الموحية بأهمية الحدث، فجاءت صوره النثرية بانسياب متدفق عَبّر عنه بتوافق وانسجام الخطاب في كل من الكلمات (المتبرج، المتأرج، الخبر، الحبر،....) وهنا تكمن مسؤولية الأديب في معالجة النص بأسلوب فني رفيع المستوى.

وخلاصة لما سبق يمكننا القول بأن الحكم والأمثال كانت شائعة في العصور القديمة بشكل عام حيث انتشرت وشاعت بشكل خاص في العصر الأندلسي ثم امتدت إلى العصور التي تلتها فأبدع فيها الأدباء والشعراء بوجه خاص إذ كانت الحكم تطلق على ألسنة من أهل الخبرة والدراية وقد تميزت بالأسلوب الجزل الرصين وبدقة الألفاظ والمعاني إذ كان يتخللها بعض الغموض وعدم الوضوح فتحتوي على الكثير من الكلمات التي امتازت بالغرابة التي يصعب فهمها ووضوحها، إذ أن رسائل ابن حريق النثرية تعد كلها حكم وذلك لما فيها من بلاغة الألفاظ والمعاني، والمحسنات البلاغية المتنوعة من (طباق، وجناس، وسجع، وأقتباس وتضمين)

خاتمة البحث

بعض النتائج التي برزت في نثر الحكم عند ابن حريق تمثلت في الآتي:

- امتاز نثره في الحكمة بسمو الخيال وقوة التصوير وبراعة الابتكار.
- مزج نثره بالزهد والابتعاد عن ملذات الحياة التي تفسد الإنسان وتبعده عن ربه.
- تأثر نثر ابن حريق بنثر أبي العلاء المعري في مزج الحكمة بالزهد وبيان رغبته عن الحياة الدنيا، فضلا عن الجانب الفلسفي الذي طرز بها نثره.
- كثر في نثر ابن حريق الحكمي من الاقتباس القرآني الذي طرز به نثره وأثرى حكمه.
- عبر نثره الحكمي عن مظاهر الحياة الملائمة للبيئة الأندلسية الجديدة.
- نقل تجاربه من الأحداث الأندلسية، واستخلاص العبرة من الأحداث التي عاشها.
- من الملاحظ أن ما روي من حكم وأمثال لم يلتزم نهجا واحدا بل تنوع بين قوة العبارة وصواب المعنى وبراعة التمثيل، ودقة التشبيه.
- الأسلوب على ضربين منه ما التزم السجع في الصياغة، ومنه ما يزهد فيه لأنه جاء عفو الخاطر دون كلفة او قصد.
- امتازت حكمه بالوضوح والسلاسة وقوة العبارة لأنها تدور على ألسنة العامة والخاصة على حد سواء.

المصادر والمراجع

ابن الأبار. (١٩٥٩م). *التكملة لكتاب الصله*. بيروت – لبنان.

ابن بسام. (١٩٧٩م). *الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة*. القاهرة، مصر.

ابن سعيد المغربي. (٢٠٠٥). *المغرب في حلى المغرب*. القاهرة: جامعة فؤاد الأول/ كلية الآداب.

ابن سعيد المغربي. (٢٠١٦). *المغرب في حلى المغرب*. مصر: دار المعارف.

ابن شريفة. (١٩٩٦م). *ديوان ابن حريق*. المغرب: الدار البيضاء.

ابن عبد ربه. (١٩٤١م). *العقد الفريد*. المكتبة التجارية الكبرى.

أحمد الهاشمي. (٢٠١٧م). *جواهر البلاغة*. نشر المكتبة العصرية.

الجاحظ. (١٤٢٣هـ). *البيان والتبين*. بيروت: دار الهلال.

السيوطي. (١٩٦٥م). *بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة*. القاهرة: مطبعة عيسى الباب الحلبي وشركائه.

الصفدي. (٢٠٠٠م). *الوافي بالوفيات*. بيروت – لبنان.

العتيق. (١٩٣٨هـ). *ماء العينين*. المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

القرطاجني. (١٩٠٠م). *منهاج البلغاء وسراج الأدباء*. دار العربية للكتاب.

الكلاعي. (١٩٩٦م). *أحكام صنعة الكلام*. بيروت: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع.

حياة معاش. (٢٠١٧). *محاضرات في النص الأدبي الحديث والمعاصر*. دار المثقف.

رضوان الداية. (١٩٨٧م). *رايات المبرزين وغايات المميزين*. دمشق: طلاس للدراسات والترجمة والنشر.

عبد الله بن محمد السليماني. (٢٠٢٠م). *محمد البياسي. تحقيق ودراسة*. رسالة ماجستير.

محمد العمري. (٢٠٠٧م). *البلاغة والاسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص*. نشر أفريقيا الشرق.

محمد مشبال. (٢٠٠٧م). *البلاغة والأصول*. نشر أفريقيا الشرق.

ياقوت الحموي. ((د.ت)). *معجم الأدباء*. نشر Rufoof.